ذمار.. منجم العقيق اليماني

■ تعد محافظة ذمار المنجم الأشهر للعقيق اليماني، إذ تعتبر مناطق عنس وآنس من أشهر المناطق اليمنية التي يتواجد فيها أجود أنواع العقيق اليماني ذائع الصيت والذي دونت شهرته كتب اليونان ومؤلفات المؤرخين كالهمداني والبيروني والتيفاشي وآخرين.

عبدالكريم النهاري

■ تعد محافظة ذمار المنجم الأشهر للعقيق اليماني، إذ تعتبر مناطق عنس وانس من أشهر المناطق اليمنية التي يتواجد فيها أجود أنواع العقيق اليماني ذائع الصيت والذي دونت شهرته كتب اليونان ومؤلفات المؤرخين كالهمداني والبيروني والتيفاشي وآخرين.

وتشير المعلومات الى أن بداية اكتشاف العقيق تعود الى عهد الدولة الحميرية حيث كان اليمنيون يقومون بنحت الجبال والصخور لبناء القصور والمعابد ما مكنهم من اكتشاف هذا الحجر الكريم.. والذي حقق شهرة كبيرة لما ارتبطت به من روايات وأساطير تروي فوائده واستخداماته على مر العصور.. وشيوع استخدامه من قبل الرجال والنساء حتى أصبح ينافس بقية المعادن الثمينة الأخرى كالذهب والفضة ولا يقل أهمية عنها وارتباطه بالعديد من الاعتقادات والعادات والتقاليد والطقوس المختلفة سواءً عند اليمنيين أو عند غيرهم.. فمنهم من يبحث عن السعادة ومنهم من يضعه للعرسان لطرد الأرواح الشريرة أو كحرز من السحرة والعلاج من الضعف الجنسي والحماية من الأمراض والوقاية من لدغ الثعابين..

وتعد عملية استخراج وتصدير العقيق من مردوداً اقتصادياً مهماً لممتهني هذه الحرفة المهمة.

ويتواجد العقيق في المناطق البركانية يظهر على هيئة كتل وخيوط كعروق الشجرة داخل الصخور ويتفاوت بدرجة أساسية في عدد من مناطق محافظة ذمار كعنس وآنس وجبل هران بمدينة ذمار، وبكميات متفاوتة في عدد من مناطق محافظات صنعاء، تعز، عدن، حضرموت، لحج.. ولايزال حتى الآن تستخرج خاماته بشكل محدود وبطرق بدائية حيث يجري تتبع العقيق الى أعماق تصل الى ١٠ أمتار في صخور الجبال.. ولهذا السبب شهدت هذه الحرفة العديد من المشاكل والمعوقات التي أدت الى هجرها لعقود من الزمن خاصة في بعض مناطق عنس بذمار حتى كادت تندثر.

مهنة الأجداد

يقول المعدن أحمد علي حسن -٤٥ عاماً: منقطة أنس وعنس تشتهر كثيراً بالعقيق منذ آلاف السنين إذ كانت عملية استخراج العقيق مهنة الأجداد لكنها كانت قد اندثرت وسرعان ما عادت من جديد إذ كانت عملية استخراج العقيق من المناجم قد توقفت منذ عقود من الزمان بسبب عدم توافر الآلات والمعدات اللازمة لتكسير الصخور من باطن الجبال وهو ما جعلنا في غفلة طوال تلك السنين وكنا نرى أشخاصاً يأتون الى المنطقة ويستخرجون الأحجار المحتوية على العقيق لكن لم نكن نعلم بأهميته ولا قيمته.. فلم نتنبه أننا نعيش على جبل من الثروة إلاّ عندما قامت احدى شركات الطرق بتفجير جزء من الجبل لتمرير الطريق.

عندها اكتشفنا العقيق وبدأنا عملية الاستخراج وبدأ التجار في الوصول الينا والاعتماد على ما نستخرجه من كميات تباع كمادة خام على تجار سمسرة النحاس بباب اليمن في صنعاء أشهر معارض العقيق اليماني حيث يقومون بتصفيته وتشكيله حسب متطلبات السوق حيث يتم تشكيله بطرق فنية الى فصوص لخواتم توضع على الأصابع وكقلائد على صدور النساء ومسابح ورؤوس للجنابي كما يوضع منه على الذهب والفضة كزينة.

أحمد علي: نعيش على جبلٍ من الثروة

صادق علي: نكتفي باستخراجه وتسويقه للتجار

اليعري: العقيق «العنسي.. والآنسي» يحظى بإقبال المستوردين القادمين إلى اليمن

وأشار الى أن مناطق آنس وعنس تشتهر بالعديد من الأنواع كالعقيق الرماني والسحابي والبرتقالي والمزهر والأبيض حيث يعد العقيق الرماني أنفسها ليأتي العقيق البرتقالي في الدرجة الثانية والمزهر الذي تظهر فيه صور وتماثيل وأشكال مختل

فة كدرجة ثالثة.

مناجم وأجراف

ويشير المعدن حسين محمد أحمد الى أن هناك الكثير من المناجم القديمة والأجراف التي كان اليمنيون القدامى يستخرجون منها العقيق ويوجد فيها بقايا من أنواع العقيق المختلفة وهو ما يدل على تأصل هذه المهنة واشتهار عدد من مناطق ذمار بها.

حيث اكتشفنا أن المنطقة غنية جداً بأجود أنواع العقيق اليماني الأحمر الرماني والأحمر الكبدي الى جانب أنواع أخرى.

حيث يقوم بعملية استخراج العقيق الخام من المنجم وتسويقه كمادة خام فيباع بأسعار متفاوتة حسب نوعية العقيق اذ يتراوح سعر حوالي ١٥كجم من العقيق الخام من الأنواع العادية من ١٠٠ الف ريال الى ٥٠٠ الف ريال من الأنواع الممتازة.

ويقول صادق علي صالح- معدن: تركنا أعمالنا الأخرى واتجهنا لاستخراج العقيق وأول يوم وخلال ساعة واحدة حصلت على نوعية ممتازة كانت عبارة عن قطعة واحدة كسبت من ورائها مبلغ ٧٠٠ الف ريال وأنا الآن أواصل العمل وأحقق مكاسب كبيرة.. وكلما اتجهنا في شق الجبل وجدنا العقيق.. ونعمل بشكل يومي منذ العصر وحتى وقت متأخر من الليل.

وقال: إنه لا يوجد لدى أبناء المنطقة وقت كاف للقيام بعملية تصنيع وتشكيل العقيق إذ يكتفون باستخراجه وتسويقه للتجار الذين يصلون الى المنطقة.

بيع بالجملة!!

وأصغر المعدنين سناً «صالح محمد علي صلاح» ١٢ سنة.. قال:

أعمل في استخراج العقيق مع والدي منذ عامين وحققت عائداً مناسباً أشارك والدي من خلاله تغطية متطلبات الأسرة ونستثمر ما تبقى في مجالات أخرى.. نبيع للتجار بالجملة كمادة خام يصل الينا تجار من صنعاء ومن ذمار ومستوردون من السعودية والكويت وايران وبقية الدول.

وحول عملية استخراج وتصنيع العقيق قال الحرفي علي احمد اليعري -صاحب معمل لتجهيز العقيق وتسويقه: يمر العقيق بعدد من المراحل بداية بعملية استخراجه من باطن الجبل وهي عملية شاقة حيث تستخدم المعدات المختلفة لتكسير الصخور بواسطة «الكمبريشان» والتفجير بواسطة مواد مفجرة «بارود» أو«ديناميت» ثم نقوم بإخراج الحجارة التي تحتوي على العقيق ثم يتم تكسير الأحجار واخراج العقيق بواسطة المطارق الحديدية والمناشير والأدوات الأخرى، ويتم تقطيعها الى قطع متوسطة وتوضع في آلات خاصة ويوضع على نار هادئة لفترات متفاوتة تصل من ٢٠-٢٥ يوماً حتى يتم تليينه وترطيبه وحتى لا يكون معرضاً للتشققات.

بعد ذلك يتم جلخه وتقطيعه الى قطع صغيرة على هيئة فصوص بواسطة آلة خاصة.. بعدها يمر بعملية تصفية من النمش عبر آلة تسمى «الدباشة» يوضع فيها لمدة تتراوح بين ٣-٧ أيام، حيث توضع فيها العديد من الأقصاص الجاهزة التي تكون خشنة بعد العملية الأولى حيث تتولى الدباشة عملية تصفية الرموش من النمش وتنعيمها ثم تأتي المرحلة الأخيرة قبل التسويق عملية الصقل النهائية بواسطة مادة طباشيرية، ثم تأتي عملية التسويق والتي تتم من خلال تجار يمنيين يسوقونها الى الأسواق المختلفة أو لتجار آخرين من الدول المجاورة والدول الأخرى والذين يصلون الى اليمن لشراء ما يحتاجونه من العقيق.

ويشير اليعري الى أن العقيق العنسي والآنسي يلاقي اقبالاً كبيراً حيث يحظى العقيق الأحمر الكبدي والرماني بإقبال كبير خاصة من المستوردين الذين يقدمون الى اليمن بحثاً عن العقيق.. حيث نبيع لهم بالجملة كميات تتراوح ما بين ١٠٠٠-٢٠٠٠ فص جاهز وأحياناً نبيع لهم مادة خام حسب الطلب.. ونتيجة لهذا الاقبال الكبير فكرنا في فتح معمل خاص وخلال عام واحد استطعنا ان نحقق أرباحاً ممتازة رغم أنه لم يكن لدينا الخبرة الكافية بالعمل واحتكار أصحاب المهنة في سوق سمسرة النحاس وأسرار العمل والذي لايزال حكراً على أسر معينة..وأشار الى أن من أبرز المشاكل التي تواجههم نقص المعدات الخاصة بالتعدين وعملية التسويق في الخارج والترويج وافتقادنا للخبرات الحديثة في التصنيع والتشكيل.

حوار: منصور الغدرة

■ قال سفير اليمن الدائم لدى منظمة الامم المتحدة للثقافة والعلوم «اليونسكو» الدكتور حميد العواضي.. ان الفريق الفني التابع للجنة التراث العالمي في المنظمة الذي زار مدينة زبيد قدم تقريراً مزرياً عن المدينة قال فيه : ان وضع المدينة في غاية السوء، وان هناك تخريباً واضحاً لاجزاء كثيرة ومعالم مهمة في المدينة، بل تغيير لهيئة ومعالم المدينة.. الأمر الذي جعل مدينة زبيد – المدينة الاسلامية اليمنية الوحيدة الموجودة في لائحة التراث العالمي مهددة بالسقوط من اللائحة، وهو ماسيقرره اجتماع يونيو المقبل الذي ستعقده لجنة التراث لمناقشة تقرير البعثة المقدم اليها..

«الميثاق» وقلبها يقطر دماً على زبيد تحاول ايقاظ الجهات المعنية وتحفيزها للدفاع عن زبيد– حاورت السفير حميد العواضي– الى التفاصيل :

مندوب اليمن لدى اليونسكو لـ«الميثاق» :

نخشى انسحاب سقوط زبيد على بقية المواقع

بعثة لجنة التراث العالمي قدمت تقريراً مزرياً عن المدينة

■ منظمة «اليونسكو» هددت بإسقاط مدينة زبيد من قائمة التراث العالمي.. لماذا؟

– أولاً لابد من الاشارة الى انه وقع تصنيف مدينة زبيد ضمن لائحة التراث العالمي عام ١٩٩٦م وكان هذا فتحاً اضافياً بالنسبة لليمن باعتبار ان لديه موقعين سابقين هما مدينة صنعاء ومدينة شبام حضرموت، واليمن في الجزيرة العربية هو البلد الوحيد الذي لديه ثلاثة مواقع تراثية في لائحة التراث العالمي «صنعاء، زبيد، شبام».. لكن بعد سنوات من المراقبة لوضع مدينة زبيد اتضح انه بدلاً من ان يتم الحفاظ على هذا التراث وصيانته والاهتمام به، بدأ الاعتداء عليه والاضرار بشكله ومعالمه ومحتواه، فأرسلت بعثات من اليونسكو للنظر في موضوع مدينة زبيد.

ولم يكن أمام الجهات المختصة في الحكومة اليمنية إلاّ ان تطلب – تحت وطأة التهديد بإزالة مدينة زبيد من قائمة التراث العالمي– إلاّ أن تطالب بنقل المدينة من لائحة التراث الى لائحة التراث المهدد بالخطر، وهذا معناه انه يضع الدولة بان تختار هذا الموقع كأولوية لها لاعادة وضعه مرة اخرى في لائحة التراث العالمي بشكله الطبيعي.

وإذا ظل هذا الوضع– زبيد في لائحة التراث المهدد بالخطر– فترة طويلة فإنه سينقل المدينة –زبيد– الى خارج هذا التراث نهائياً.. أي الى خارج اللائحة..

■ وما الذي تم في هذا الاتجاه..؟

– الذي حدث في هذه القضية انه قبل ثلاثة سنوات عقد اجتماع عالي المستوى في رئاسة الجمهورية –برئاسة الاستاذ علي محمد الآنسي وحضره وزير الثقافة – حينها– ورئيس الهيئة العامة للمدن التاريخية ومدير عام الصندوق الاجتماعي، ووزارة الاشغال العامة واقر فيه منع أي استحداثات تقوم بها جهات حكومية، وبالتالي تم ايقاف كل الاستحداثات التي كانت تعتزم القيام بها مؤسسات حكومية كوزارة الاشغال وغيرها..

وتم ايضاً عقب ذلك توجيه رسائل من رئيس الوزراء – حينها– الى محافظ الحديدة بمنع الاستحداثات والتشوهات التي تضر بالمدينة وتغير معالمها.. اضافة الى انه تم القيام بحملة لدى عدد من المانحين بخصوص مدينة زبيد.. حيث رأينا انه لابد ان يتجه المانحون لدعم هذه المدينة وتمويل الصيانة والحفاظ عليها ومعالمها.. وفعلاً قررت منظمة الـ«جي تي زد» الالمانية العام الماضي ان تدخل مدينة زبيد ضمن لائحة المدن التي ستعطيها تمويلاً لاعادة الترميم والصيانة وهناك جهات –مانحون آخرون– الآن بصدد دراستها وأولهم اليابانيون والفرنسيون.. عموماً هناك جهد دولي واضح في مسألة الحفاظ على هذه المدينة الاسلامية الوحيدة في اليمن.. ولكن الجهد الوطني رغم ما يعبر عنه في النوايا الصادقة.. لكن الواقع العملي يسير في اتجاه مختلف.. فمؤخراً تم ارسال بعثة من مركز التراث العالمي التابع لمنظمة اليونسكو الى مدينة زبيد لاستطلاع الوضع في المدينة – تكشف الأمر للبعثة مالم يكن في الحسبان– اتضح ان هناك استحداثات..

تشوهات

■ عفواً.. هل هذه الاستحداثات تمت بعد الاجتماع الذي عقد وكل تلك الرسائل الموجهة لقيادة محافظة الحديدة؟

– نعم هذه الاستحداثات تمت بعد ذلك الاجتماع برئاسة مدير مكتب رئاسة الجمهورية المشار اليه، وهي الاستحداثات التي على اساسها وجهت منظمة اليونسكو رسالة تهديد بإسقاط مدينة زبيد من لائحة التراث العالمي..

■ كيف بدا وضع المدينة في تقرير بعثة اليونسكو؟

– البعثة قدمت تقريراً مزرياً عن مدينة زبيد، قالت فيه : ان وضع المدينة في غاية السوء، وان هناك تخريباً واضحاً لاجزاء كثيرة ومعالم مهمة في المدينة، بل وهناك تغيير لهيئة ومعالم المدينة، وحسب ما اظهرته الاستطلاعات ان المسئول الاول عن الاستحداثات والتشوهات في المدينة هي السلطة المحلية، التي يجب عليها ان تأخذ مكانها وتقوم بدورها في حماية المدينة من اي اعتداء والمحافظة على ما هو قائم، بل ومساعدة الآخرين في ترميمها.

■ من هي الجهة التي قامت بهذه الاستحداثات في المدينة؟

– بالنسبة للجهات الرسمية – الحكومية– بعد الاجتماع الذي اشرت اليه التزمت بعدم البناء او الاستحداث.. وعلى حد علمي ان وزارة الاشغال العامة ليس لديها أي اشغال داخل المدينة، لان الاشكالية الرئيسية التي كانت مع وزارة الاشغال العامة، فتم ايقاف هذه الاشغال.

الخطر يهدد «١١» موقعاً

■ الآن.. ما الوضع الذي عليه مدينة زبيد؟

– الوضع الذي عليه الآن زبيد إما ان تتخذ الدولة اجراء حازماً وحاسماً وسريعاً في معالجة الوضع وإما اسقاطها من اللائحة –فمنظمة اليونسكو اعطتنا مدة عام بدأت من شهر يناير الماضي حتى نهاية العام الجاري ٢٠٠٧م.

وموضوع زبيد سيتم مناقشته في اجتماع سيعقد في يونيو القادم في نيوزلندا.. لابد من الوفد اليمني الذي سيشارك في هذا اللقاء ان يقدم للجنة او للاجتماع تقريراً عما ستفعله الحكومة اليمنية والالتزام بتنفيذه والقيام به لكي يبقى هذا التراث تراثاً عالمياً، وفخر لنا ان يكون لليمن تراث عالمي..

ولكن الخطر الذي انا اخشاه ان عدم اهتمام الحكومة او الجهات الرسمية او عدم تعاون الاهالي مع هذه الجهات، لن يؤثر فقط على سقوط زبيد وخروجها من لائحة التراث العالمي لكنه قد ينسحب على المواقع الموجودة في اللائحة والمرشحة والتي نريد ان ندخلها في قائمة التراث العالمي خاصة واليمن مليئ وغني ولدينا قائمة بـ١١» موقعاً اثرياً مرشحاً للدخول الى قائمة التراث العالمي..

اذاً كيف نستطيع ان نطلب تصنيف مواقع جديدة – مثل سقطرى– التي سيتم البت فيها العام المقبل ٢٠٠٨م وكذلك مدينة مأرب التاريخية وقد طلبنا من اللجنة المختصة لإعداد ملف عنها، وايضاً الهجرين بحضرموت، وجبلة ومدن اخرى.. اذاً كيف يمكن لنا ان نقدم هذه الملفات ولدينا مدينة على وشك الخروج من قائمة التراث.. يعني هذا ان هناك اشكالية جدية يمكن ان تؤثر على المواقع المصنفة «صنعاء، شبام» ويمكن ان تؤثر ايضاً على المواقع التي نريد ان نصنفها..

■ بحكم موقعك في المنظمة كمندوب لليمن.. كيف ترى جدية تعاون الجهات المعنية في اليمن حول هذا الموضوع.. وتحاشي خروج زبيد؟

– حقيقة انا ممثل اليمن وأدافع عن وجهة النظر اليمنية..

■ هل ستناقش خلال زيارتك الحالية – هذا الموضوع مع الجهات الحكومية؟

– انا لا أبالغ اذا قلت لك انني أتيت من أجل زبيد وسألتقي بوزير الثقافة ولدينا عشم كبير بان يأخذ الموضوع على محمل الجد، وان تتم خطوات عملية لحماية هذه المدينة، مما سيساعدنا في المستقبل على وضع مدن اخرى في لائحة التراث العالمي.

يونيو.. موعد بقاء زبيد

■ قالت هيئة المدن ان هناك حالياً فريقاً من اليونسكو يراقب الوضع في مدينة زبيد.. وان هذه القضية كانت قبل سنوات ثلاث وتم معالجتها في حينه وما صحة هذا؟

– الفريق زار المدينة آخر مرة قبل شهرين وقدم تقريراً عن حالة وضع مدينة زبيد وعلى ضوء التقرير الخطير وجهت الي رسالة التهديد بإسقاط زبيد من اللائحة وصورة منها لرئيس هيئة المدن، وهذا الفريق هو الذي قيم وضع زبيد، ويمكن ان يأتي الفريق في أية لحظة، وهو يأتي فقط لنقل هذا الواقع الى لجنة التراث التي ستعقد اجتماعها في شهر يونيو المقبل.

ومايجب على الاخوة القائمين على التراث في اليمن ان يتخيلوا انه ليس من السهل ان تضع موقعاً على لائحة التراث، فالدول تنفق مئات الملايين من الدولارات من أجل ان تصل الى هذا الموقع، نحن وصلنا والحمد لله ولدينا ثلاثة مواقع ولدينا موقع رابع نحن الآن في المرحلة النهائية منه – هو مشروع سقطرى– لكن لدينا قائمة فائدتها اكثر بكثير من الاستثمار الذي سنقيمه اليوم، الذي بالتاكيد سينعكس سلباً في المستقبل..

■ كيف حال المدينتين –صنعاء وشبام– الآن، وماذا بشأن الاعتداءات؟

– فيما يتعلق بمدينة شبام حضرموت ليس هناك حتى الآن اي اعتداءات أو استحداثات، بل على العكس من ذلك هناك مشروع قائم بدعم الـجي تي زد» وصندوق التنمية الاجتماعية موجود في شبام ويعمل على مساعدة الاهالي في الترميم والمحافظة على التحسين.. وهناك خطوات فعلية تجرى لحماية المدينة.. اذاً شبام ليس عليها أية علامات استفهام.. أما بالنسبة لصنعاء فقد حدثت اثناء الاحتفاء بها عاصمة للثقافة العربية بعض التحسينات– طبعاً كانت بنية حسنة، لكنها لم تخضع للمعايير الدقيقة التي تقتضيها اللجنة وتم حل الموضوع في حينه.. وزار الموقع رئيس مركز التراث العالمي ولجان اخرى والجميع تفاعل مع صنعاء في لائحة التراث.. لكن هذا لايمنعنا في مزيد من اليقظة والحذر وعدم الانجرار وراء الحداثة بمفهوم تخريب الوجه الجميل لحضاراتنا..

قوة للمفاوض

■ ما النصيحة التي يمكن ان تزود بها الوفد اليمني المفاوض في اجتماع يونيو؟

– انا ارى ان قوة المفاوض اليمني ستكون من قوة الاجراء المتخذ في الداخل، وكلما كان الاجراء المتخذ في الداخل قوياً وعملياً وواضحاً كلما كان المتحدث اليمني واضحاً في طرحه وقوياً ومقنعاً للآخرين، لان هذا تراث عالمي.. يجب ان يفهم الاخوة في زبيد والحديدة ان هذا تراث عالمي لم يعد فقط ملكاً لهذه المدينة – زبيد– فهي تستفيد من هذه اللوحة وهذا الاسم لانها اصبحت ضمن الموروث العالمي.. اذاً يجب ان نستبسل للدفاع عن هذه التسمية ومكانتها..

■ هل تجد مثل هذه القضايا خروج زبيد خسارة لليمن؟

– انا احسبها من باب الربح والخسارة، لا احسبها من باب الحرج او التبرم بالوضع.. وخروج زبيد خسارة لليمن.. اذاً انا ضد خروج زبيد وهذا يعني وجوب بقاء زبيد ضمن لائحة التراث لان في ذلك ربحاً لليمن وانا ادافع عن مصلحة اليمن وليس غير ذلك.

■ وإن كنت بمفردك..

– لا اظن انني بمفردي لان هناك دعماً سياسياً عالي المستوى واظن انه سيكون هناك تدخل على أعلى مستوى، وانا هنا اوجه نداء اولاً للمعنيين المباشرين– سكان زبيد والمجلس المحلي في زبيد والسلطة المحلية في محافظة الحديدة– ومن خلالهم الى فخامة الاخ الرئيس بالتدخل لإيقاف التهديد الذي تتعرض له مدينة زبيد لان هذه سمعة وصورة اليمن..وبالمناسبة نحنا اصدرنا كتاباً لمدينة زبيد قبل سنتين يوثق لأهم معالمها بالصورة والكلمة ولدينا الآن كتاب آخر يوثق للحرف المعمارية والنقشية بحيث يمكن اعادة كل شيء كما كان عليه وهذا من مهمة اليونسكو، وهي مهمة فنية– الدعم الفني والمشورة والسعي لدى المانحين لاقناعهم بالدعم والتمويل.